ISSN: 1112-4628, EISSN: 2588-2449 مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية
السنة :2022 عدد 28 مجلد : 14

الذاكرة الجماعية وإشكالية كتابة التاريخ

Collective memory and the issue of writing history

•اسم ولقب المؤلف الأول: د.قاسي فريدة

Kaci Farida

الدرجة العلمية والعنوان المهني: أستاذ محاضر ب بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البريد الإلكتروني: kacifarida@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/06/06 تاريخ القبول: 2022/06/29. تاريخ النشر: 2022 /07/06

ملخص:

ما هو الماضي، ولماذا نستعيده على الدوام وكيف يتحقق ذلك ؟

إن الحياة كلها محمولة على ظهر الزمان، ومن ثم فهي جارية بجريانه وتحتاج إلى تأملها وتفحصها بعد ردح من التراكم لنفصل أحداثها عن الزمان ونمسك بها في نصوص. إن الماضي برغم كونه منقرضا إلّا أنه يشكل خزانا كبيرا لسيرورة الحياة، والرواية تماثل التاريخ عندما تتوجه بدورها إلى أحداث الماضي، وبالتالي فالذاكرة الجماعية تقدم حضورا للماضي أحيانا أو غالبا أقوى مما تبينه كتب التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الماضي، الذاكرة، التاريخ، الذاكرة الجماعية، الكتابة التاريخية، الذاكرة السليمة، الذاكرة المستعارة.

Abstract :

What is the past, and why do we always bring it back, and how is this achieved?

Life is carried on the back of time, and therefore it is in its flow and needs to be contemplated and examined after a period of accumulation in

order to separate its events from time and treats in texts. The past being different constitutes a large reservoir for life narrations represent History when they are directed to past events and thus a collective memory presents the past ,sometimes stronger than what the books of history.

Keywords: past, memory, History, collective memory, Historiography, healthy memory, borrowed memory.

الذاكرة الجماعية وإشكالية كتابة التاريخ

Collective memory and the issue of writing history

د.قاسي فريدة

1. مقدمة

إنّ للأمم والشعوب محطات منيرة في ماضيها تعود إليه من حين لآخر للتذكر أو لتنظر إلى تاريخها بعين الحاضر لتستمر في بناء مستقبلها على نهج قويم فتحافظ بذلك على ذاكرتها الجماعية.

ويواجه عمل المؤرخ صعوبة كبيرة في التفريق بوضوح بين الأحداث والوقائع التاريخية التي تنتمي إلى مجال الذاكرة والتي تنتمي إلى العدالة والتاريخ، فان الخلط بين ما هو حدث تاريخي واقعي وما هو ذاكرة ومتخيل سبّب اضطرابا في منهج البحث التاريخي.

من هنا جاءت إشكالية هذه الورقة البحثية حول جدلية العلاقة بين الذاكرة الجماعية وكتابة التاريخ، وكيف ينبغي للمؤرخ أن يفهم ويدرس الذاكرة ويوظفها إذا علمنا بأن التعبير عنها يقع بأشكال مختلفة وعلى امتداد عقود مختلفة.

2. تعريف التاريخ

ليس التاريخ علما للواقع، بل معرفة بخبر عن الواقع، لهذا فهو علم يبحث فيه عن حوادث البشر في الزمن الماضي[1]. وتطلق لفظة " تاريخ " تارة عن الماضي البشري ذاته، وتارة على الجهد المبذول لمعرفة الماضي

[1] – هارفي بورتر، **موسوعة مختصر التاريخ القديم**، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ص31.

.

ورواية أخباره، فما حدث في الماضي هو " التاريخ الواقع " وما بقي هو " التاريخ المسجل "[2]، ولعل هذا راجع إلى شعور أصيل في الإنسان بالارتباط الدقيق بمعرفة الماضي والماضي ذاته.

وتعود كلمة "تاريخ" في أصلها إلى لفظة istoria"" اليونانية التي استخدمها هيرودوت عنوانا لكتبه التسعة [3]وهي تعني الاستفسار أو التقصي من أجل الفهم. حيث يعتبر أول من أهمل تدوين الروايات الوهمية المرتبطة بالآلهة والأبطال، وانصرف إلى البحث وتسجيل وقائع الزمن الذي عاش فيه، مما جعل معنى التاريخ يتركز على خاصيتين من خواص الفكر اليوناني (القرنين السادس والسابع قبل الميلاد) هما المشاهدة والتساؤل [4]. وقد حرص هيرودوت أن يكون تاريخه مدونة لحفظ مآثر البشرية وتنال فيه الأعمال العظيمة حظها من الذكر للإغريق والبرابرة (الأجانب من غير الإغريق)[5].

من جهة أخرى أراد أن يحفظ مآثر الإغريق واليونان وأعمالهم المجيدة من النسيان لتبقى خالدة مدى الزمان[6]. ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق التقصي في الحوادث الماضية، وعن طريق السفر والترحال إلى مواقع هذه الحوادث ليتحقق المؤرخ بنفسه مما وصله من أخبار تمهيدا لتدوينها بأسلوبه الخاص، وبثقة المؤرخ الواثق من صحة الخبر الذي يسوقه[7].

---

[2] – لويس جوتشلك، **كيف نفهم التاريخ، مدخل إلى تطابق المنهج التاريخي**، ترجمة عائدةسلمان عارف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1966، ص 58.

[3] – سمى هيرودوت كتابه **Lotopins Altoaeievs** أي تمحيص أو إثبات الأخبار، أما كتبه التسعة (الأول كليو – ربة التاريخ، الثاني تاليا – ربة التراجيديا، الثالث كاللليوبي – ربة شعر الملاحم، الرابع ميلوميني – ربة الكوميديا، الخامس تربسيفوري – ربة الرقص، السادس أراتو – ربة الشعر، السابع بوليهيمنيا – ربة التمثيل، الثامن أورانيا – ربة الفلك، التاسع يوتربي – ربة الموسيقى) . ينظر : هيرودوت الهاليكارناسي، **تاريخ هيردوت، التواريخ أو الإستقصاء**،ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقاف وحمد بن صراي، المجمع الثقافي ، أبوظبي، 2001، الكتاب الأول كليو، ص 22-23 .

[4] – قاسم عبده قاسم، **تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية**، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر، 2000، ص 25 .

[5] –**تاريخ هيرودوت**، المصدر السابق، ص 10 .

[6] – **تاريخ هيرودوت**، الكتاب الأول كليو، ص 28 .

[7] – حسن محمد جواد الجبوري، **منهجية البحث التاريخي ، الأسس والمفاهيم والأساليب العلمية** ،ط 1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ، 2013 ، ص 25.

.

وعندما ورث الرومان كثيرا من المفاهيم الثقافية اليونانية القديمة وألبسوها ثوبا لاتينيا، استخدموا كلمة istoriaاليونانية في حروف لاتينية **Historia** لكي تدل على المعنى نفسه، ومن هذه الكلمة اشتقت المصطلحات الأوروبية الحديثة histoire الفرنسية، History الإنجليزية[8].

وبالنسبة لمصطلح التاريخ عند المسلمين الأوائل، فعند الطبري هو العلم بما كان من أخبار الماضين و ما هو كائن من أنباء المحدثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين[9]، أما السّخاوي فهو " فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت " **[10]**.

ويعرفه ابن خلدون على أنه "في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ...وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل الكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق"[11].

أما بالنسبة للمحدثين فيعرفه سيد قطب:"التاريخ ليس هو الحوادث وإنما هو تفسير الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان[12]".

---

[8] – قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 26 .

[9] – أبو جعفر أحمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1967 م، ج 1، ص 8.

[10] – شمس الدين عبد الرحمن السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة أحمد صالح العلي، بغداد،1963، ص 17.

[11] – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ط 2 ،اعتنى به هيثم جمعة هلال، ، دار مكتبة المعارف، ناشرون، بيروت، لبنان، 2015 م، ص 15-16.

[12] – سيد قطب، **في التاريخ فكرة ومنهاج**، ط 10، دار الشروق، بيروت، 1993، ص 37.

.

وبالنسبة لعبد العزيز الدوري فهو أعمال البشر وتصرفاتهم نتيجة تطورات الماضي، وأن فهم الماضي هو خير وسيلة لفهم الحاضر، فيسعى التاريخ لربط الماضي بالحاضر وتوضيح الصلة بين حياة الأمة في حاضرها وما فيها خصوصا في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية[13].

أما بالنسبة للمؤرخين الأوروبيين، فقد تطور مفهوم التاريخ عندهم ابتداءا من القرن (18 م)، حيث عرفه منتسكيو بأنه دراسة لعادات الناس لا للحوادث ذاتها، وأن الاهتمام ليس فقط بالوقائع السياسية بل أيضا بتطور العلوم والفنون والصناعة، فالتاريخ لا يعد مجرد تكوين لأحداث الماضي بل إنه يفهم ويكتب على أسس علمية سليمة فنحصل على تاريخ صادق بالقدر الممكن[14].

ويركز "كار" على أن التاريخ يتكون من مجموعة كاملة من الحقائق المؤكدة التي تكون متوافرة للمؤرخ من خلال الوثائق والنقوش وما إلى ذلك[15].

ويذهب "راوس" أن التاريخ سجل لحياة الناس في المجتمعات في بيئتها الجغرافيا والطبيعية، والتي تتشكل نتيجة التشابك بين بيئتين المجتمع والأحوال الجغرافية[16]. وحرص "فوستيل دي كولانج" على إعطاء التاريخ مكانة في مجموعة المعارف البشرية، وأن يرتفع تقديره كعلم"التاريخ علم، إنه لا يتخيل، إنه يرى فقط ... وهو كغيره من العلوم قوامه الكشف عن حقيقة الوقائع، ثم تحليلها ودرس التقارب فيما بينها " [17].

---

[13] – عبد العزيز الدوري، **أوراق في التاريخ والحضارة**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ج 1،ص 3.

[14] – ذكر هذا منتسكيو في كتابه المعروف " **تأملات في تاريخ الرومان وأسباب انحطاطهم** " نقلا عن حامد عبد الحمزة العلي، **فلسفة التاريخ النقدية وأثرها في منهج البحث التاريخي**، ط 1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016 م، ص 191 .

[15] – إدوارد كار، **ما هو التاريخ** ، **what is History**، **ط2**، ترجمة ماهر الكيالي وبيار عقل، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1980 م، ص 53.

[16] – راوس أل، **التاريخ أثره وفائدته** ، **the use of history**، د. ط ،ترجمة مجد الدين ناصف، سجل العرب، 1956، ص 58.

[17] – قاسم يزبك ، **التاريخ ومنهج البحث التاريخي** ، ط 1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1990 م ، ص 34 .

.

أما "مارك بلوخ" فالتاريخ لا يعني جمع وتكديس أخبار الماضي الكثيرة والمتنوعة،بل هو علم البشر عبر الزمن وبالتالي فهو يشمل مجمل الخبرة الانسانية[18].

لقد أدى التراكم الكمي في مجال " معرفة" ما جرى في الماضي من أحداث إلى تقدم نوعي في مجال فهم هذه الأحداث، فالتطور المعرفي أدّى إلى تطور منهجي ، وشهد القرن العشرين ثورة في علم التاريخ بحيث صار بوسع الإنسان أن يتحدث بنوع من التأكيد عن الماضي بشكل لم يكن ممكنا من قبل[19]،حيث انتقلت دراسة التاريخ إلى قراءة أحداث الماضي من أجل تسليط الضوء على ما يخدم منها الجماعة الإنسانية في حاضرها ومستقبلها[20]، وهو ما يؤكّده المؤرخ الايطالي كروشي: بأن التاريخ يتألف بصورة أساسية من رؤية الماضي من خلال عيون الحاضر وعلى ضوء مشاكله وكذلك بأن العمل الأساسي للمؤرخ هو ليس التدوين وإنما التقويم حتى يعرف قيمة الأشياء التي تستحق التدوين[21]

إن التاريخ نتاج ذاتي للمؤرخ الذي يرسخ حقائق التاريخ ويفهمها فهما كاملا من خلال عملية التفسير، وبالتالي فهو يبدأ باختيار مؤقت للحقائق وتفسير مؤقت على ضوء هذا الاختيار، ولهذا وحسب "إدوارد كار" فإن التاريخ هو عملية مستمرة التفاعل بين المؤرخ والوقائع التاريخية، والمؤرخ هو جزء من الحاضر بينما تنتمي الوقائع إلى الماضي، وبالتالي فالمؤرخ ووقائع التاريخ ضروريان بعضهما لبعض، فالمؤرخ بدون الوقائع هو عقيم، والوقائع بدون المؤرخ عديمة الحياة والمعنى [22].

يقول أوكشوت:" التاريخ هو تجربة المؤرخ، إنه ليس من صنع أحد باستثناء المؤرخ، وكتابة التاريخ هي الطريقة الوحيدة لصنعه"[23].

---

[18]- M.Bloch, Apologie pour l'histoire ou métier d'historien

دفاعا عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ترجمة أحمد الشيخ ،ط2، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، 2013 م، ص 7.

[19] – ديفيد كاندين، **ما التاريخ الآن، what is History now**، ط 1، ترجمة وتقديم قاسم عبده قاسم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص 7.

[20] – المرجع نفسه، ص 12.

[21] – إدوارد كار، المرجع السابق، ص 22.

[22] – المرجع نفسه، ص 32.

[23] - M.Okeshott, **experience and its modes**,1933, p99.

والخلاصة أن لفظة التاريخ تعني دراسة المسيرة الحضارية لبني الإنسان أو الماضي الإنساني من أجل الكشف عن غموض هذا الماضي لتحقيق المعرفة بالذات الإنسانية، وأنها في معناها الدقيق البحث أو التحكم في الوقائع التاريخية والمعنى المستتر هنا هو الاستقصاء وطلب الحقيقة [24].

ومنه فدراسة التاريخ هي محاولة للتعرف على الجهود البشرية التي حدثت في الماضي، والأثر الذي لا يزال لنا في الحاضر والمكونات التي يمكن أن يقدمها في المستقبل، وبالتالي فإن التاريخ في أوضح صوره يهدف إلى بيان تطور حركة الأمم والشعوب في مختلف مظاهرها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بتتبع مراحل الازدهار والقوة، ومراحل الضعف والتراجع، وهنا تكمن أهمية التاريخ في تعديل السلوك البشري على مستوى الأفراد والأمم.

3. تعريف الذاكرة.

تمثل الذاكرة على مستوى الإنسان جانبا أصيلا من جوانب شخصيته، إنها لا تعني مجرد ذكريات الماضي بجانبيها الحلو والمر، بل تعني في الأساس جماع الخبرات والتجارب التي تشكل وعي الإنسان وتحدد قدرته على التعامل مع الحاضر الراهن، بل تمثل شروط التعامل مع هذا الحاضر، تلك الشروط التي تعد أساس أي معرفة وحين يفقد الإنسان ذاكرته فإنه يفقد ذاته لأنه يفقد الشروط الموضوعية التي تجعله يعيش الحاضر ويتعامل معه[25].

وتثير كلمة ذاكرة حقائق مختلفة يتوجب التفريق بينها بعناية، فالذاكرة الفردية هي خاصية نفسية تقوم على أساس بسيكولوجي تخلد في ذهن كل إنسان وعيا بالأوضاع التي عاشها والأحاسيس التي شعر بها، وتأخذ هذه الخاصية أشكالا متنوعة.

نقلا عن إدوارد كار، **المرجع السابق**، ص32.

[24] –هرنشو (ج)، **علم التاريخ**،ط2، ترجمة عبدالحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937، ص 10 – 11 .

[25] – نصر أبوزيد، "**الذاكرة المفقودة والبحث عن النصّ**"، **فصول**، مجلة النقد الأدبي، مج4،ج1،ديسمبر 1982 م، ص 200 .

.

فالذاكرة غير المعبر عنها تكون ضعيفة لأنها يمكن أن تموه وتوارى من قبل ذاكرة الوقائع القريبة العهد، وقد تكبت أو تتلف من خلال قدم سندها العضوي[26]، لأجل ذلك تصان الذاكرة من خلال التعبير عنها، وتغلب الرغبة في نقلها إلى الأجيال القادمة.

والذاكرة الجماعية ليست مجرد جمع للعديد من الذاكرات الفردية ولكنها بناء واع وإرادي إلى حد ما، فهي تعرف بالقدرة على الاستحضار وأنماط التخزين، وبمحتوى المادة التي يتذكرها الأفراد والجماعات، وفي هذا المعنى يعرفها وجيه كوثراني بأنها اختزان أحداث وتجارب وعلاقات يمر بها الإنسان في مراحل حياته ويستحضرها صورا في محطات معينة بناءا على محفز ما [27].وبالتالي فالذاكرة هي الترسيخ الذهني لتجارب معاشة أو منقولة وهي محددة اجتماعيا وتؤثر إلى حد كبير في تمسك الأفراد والجماعات والثقافات بطريقة عيشهم أو بمثلهم العليا، والذاكرة قابلة للتأثر بعامل الزمن لذلك ينبغي وضعها دائما في سياقها الاجتماعي والتاريخي.

من جهة أخرى تهدف المبادرات الجماعية لحفظ الذاكرة إلى تخليد ذكرى حدث ما وقع في الماضي ويكون في غالب الأحيان محل خلاف أو إلى تعزيز فهمه في المجتمع ، وفي هذا السياق يشبه آلان باديليlanA baddely الذاكرة بآلة نحتال بها لكي نتملص من الحقائق الكريهة، فهي تشبه مصيدة تمسك بهذه الحقائق [28].

وترتبط الذاكرة الجماعية ارتباطا وثيقا ببنية تاريخ فردي معاش، وقد ميز موريس هالبواشaurice M halbwachs بين مستويات مختلفة للذاكرة: الذاكرة الفردية، الذاكرة المستعارة وهي التي تتميز بطابع التعددية الجيلية(عدة أجيال تميز العمل التذكاري)، والذاكرة الاجتماعية(المرتبطة بجماعة ما) ، وأخيرا الذاكرة الوطنية، ويركز هالبواش على الذاكرة الجماعية لأن التفكير الجماعي ليس كيانا مستقلا فالروح

---

[26] – عبد الوهاب شلالي، " **ذكرى 17 أكتوبر 1961 بين الذاكرة والعدالة والتاريخ** "، رسالة المسجد، س 4، ع 4 ،أكتوبر 2007، ص 68.

[27] – وجيه كوثراني، **استحضار الذاكرة التاريخية وتشكيل الهوية**، المستقبل ، ع 2393 ، ص 20 .

[28] – ديفيد كاندين، **ما التاريخ الآن**، ص 257 .

الجماعية لا توجد ولا تتحقق إلا من خلال الضمائر الفردية. يقول هالبواش:" أن كل ذاكرة فردية هي وجهة نظر تطل على الذاكرة الجمعية "[29].

ثم إن الأطر الاجتماعية – لدى هالبواش– تتصف بتعدد الدلالات حيث تعمل في مستويين مختلفين – وإن كانا مترابطين – الأول يعود إلى الكيفية التي تتضافر فيها عوامل الزمن ــ اللغة والمجال ــ على توفير هياكل للتأويل التي هي استعدادات للتذكر والنسيان، وبالتالي من شأن تلك الأطر أن تسهل عملية تحديد مواقع الذاكرة في هذا المجتمع أو ذاك ويعود الثاني إلى أنه لا توجد ذاكرة ما خارجا عن الأطر المستعملة من طرف الناس الذين يعيشون عيشة مجتمعية من أجل تثبيت واستعادة تذكاراتهم، فتشكيل الذاكرة المشتركة لمجموعة ما مرتبط بالأطر التذكارية الخاصة بالمجتمع الذي تنسب إليه المجموعة [30]، وبالتالي فقد أكّد هالبواش بأن الجماعة حينما تتمثل ماضيها فإن ذاكرتها وليس تاريخها هو ما يحتل الصدارة.[31]

ويفرق المفكر الفرنسي بيير نورا Pierre nora بين الذاكرة الجماعية والذاكرة التاريخية بقوله:" الذاكرة الجماعية هي ما تبقى من الماضي في معاش الجماعات، أو ما يتمثل بشأنه، إنها جماعات عريضة على مستوى النطاقات الثقافية والأيديولوجيات السياسية والدينية، وعليه تمتاز الذاكرة بالضبابية والتداخل، وتبنى على اعتقاد قائم على الصدام، وتراهن على حاجيات اللحظة، وإعادة بناء قواعد المخيل، في حين تمتاز الذاكرة التاريخية بالوحدة والتماسك وهي ثمرة تجربة معرفية للكشف عن الحقيقة ما أمكن[32]".

4. الكتابة التاريخية

يقصد بها عمل المؤرخ في كتابة كل ما يراه جديرا بالتسجيل أو التدوين من المعلومات التي تتصل بمختلف الجوانب السياسية والحضارية، وتعتمد كتابة التاريخ على عنصرين متلازمين:

ــالوثائق التاريخية بمختلف أنواعها وأشكالها بما ذلك الرواية الشفوية.

---

[29]– موريس هالبواش، **الذاكرة الجمعية**، د. ط، ترجمة نسرين الزهر،بيت المواطن للنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، 2016 م، ص 6 .7

[30] –جيم هاوس، نيل ماك ماستر، **باريس1961**، **ارهاب الدولة والذاكرة**، ترجمة أحمد بن محمد بكلي،دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 278.

[31] – موريس هالبواش، **المصدرالسابق**، ص104 .

[32] ــ زهير سوكاح، "**أماكن الذاكرة**"، الحوار المتمدن، ع1867،مارس 2007م، ص 10.

.

ـالمؤرخ الذي هو صانع فعالية التاريخ وما يكتبه هو المادة التي توظف في البناء التاريخي[33].

ويحتاج المؤرخ في عمله إلى حس تاريخي يمكنه من ربط أسباب الحوادث بمسبباتها، وأيضا ربطها في إطار علاقاتها الزمانية والمكانية. إضافة إلى تمتعه بالوعي التاريخي الذي يعتبر حالة متقدمة في مجال المعرفة التاريخية وهذا عن طريق امتلاك القدرة على ممارسة الكتابة التاريخية، فالوعي التاريخي هو حالة أكثر تقدما من الحس التاريخي.

ويعتمد عمل المؤرخ على الوثائق، ويقصد بالوثيقة الكتابات والمدونات بمختلف أنواعها، فهي الأداة التي يعمل بها كونها الوسيلة التي تطلعه على الماضي بصورة صحيحة [34].

فالمؤرخ يحاول من خلال الوثائق الوصول إلى حقيقة ما حدث في الماضي ثم يقوم بإعادة بناء الأحداث والوقائع من منظوره الخاص بعد جمع الوثائق ثم تحليلها ثم تفسير وتأويل المعلومات الواردة فيها عن طريق توزيعها وتنظيمها وترتيبها.

ولعلّ أبرز الاختلافات بين المدارس التاريخية الحديثة تكمن في طريقة استقراء أحداث الوثيقة، وفي كيفية بناء هذه الأحداث، ويمكن ملاحظة ذلك في طبيعة التساؤلات التي تطرحها كل مدرسة في ماهية الوثيقة وفيما ورد فيها.

إن الجزء المهم حقا في عمل المؤرخ يكمن في بناء الشرح والتفسير الذي يقام على هذا الأساس، يقول كار أن الواقعة شيء وقع في الماضي ولكنها لم تصبح "حقيقة تاريخية "سوى عندما التقطها المؤرخ واستخدمها جزءا في جدال ما[35].

نستنتج أن مهمة المؤرخ تنحصر في:

- جمع وثائق الماضي والكشف عن حقائقها.
- البحث عن أسباب الأحداث وربطها بالنتائج.

---

[33] – محمد عبد القادر خريسات وآخرون، **أنا التاريخ، دراسة في التاريخ أثره وفائدته**، مؤسسة حمادة في الدراسات الجامعية،عمان ، 2005 م، ص 115.

[34] – حسن محمد جواد، **المرجع السابق**، ص30 .

[35]– إدوارد كار، **المرجع السابق**،ص6 .

.

- نقد هذه النتائج [36].

ويلخص جوزيف هورس هذه المهمة بأن النهج الذي يمضي فيه المؤرخ وهذا ما نسميه شاهدا مهمته أن يرسم لوحة عن معرفتنا بتسلسل الأشياء البشرية في مجرى الزمن وإذا كان لابد في سياق عمله أن يتخطى التفاصيل وأن يحاول الأخذ بنظرة مجملة النتائج المتوصل إليها فذلك بشرط تعايشه المستمر مع الحوادث و تأكيد حقيقة حدوثها[37] .

من جهة أخرى فمعرفة كاتب الأصل التاريخي وشخصيته مسألة مهمة لأن قيمة المعلومات التي يور دها ترتبط كل الارتباط بشخصيته ومدى فهمه للحوادث انطلاقا من الاختلاف الإيديولوجي والفكري للأشخاص ومهما كان الأصل التاريخي فيجب أن يتصف بصفات المؤرخ والتي نحددها في:

- أن تكون له سرعة البادرة القادرة على الشمول والإحاطة ما يكفيه للوقوف على وجوه الشبه بين الأشياء.
- الرسوخ ما يكفيه لتعيين أوجه الاختلاف الدقيقة والتمييز بينها.
- الرغبة في البحث والصبر على الشك والتأمل والتبصر قبل التأكد.
- الاستعداد لإعادة النظر والحذر الشديد في التصنيف والترتيب [38].

ويركز عبد الله العروي على عملية التمحيص خاصة أثناء عملية الاستماع إلى الروايات من أجل ت سجيلها فدائما المؤرخ يتسائل هل اثبت هذا الخبر أم لا؟ وهذا ما يحدد الموقف النقدي للرواية الشفوية و تعتمد قواعد التمحيص على:

- صدق وأمانة الراوي والتجرد والثبات.
- صحة مضمون الرواية.
- الحدق والنباهة زيادة على الأمانة والقدرة على إدراك المقاصد بالنسبة لشخصية السامع[39].

---

[36] – محمد عبد القادر خرسات، **المرجع السابق**، ص 114.

[37] – Josèphe hours, **valeur de l'histoire**, traduction arabe de Nassim Nasr, édition oueidat, Beyrouth, Paris 1986, p 11 .

[38] – عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب**، ط3، المركز الثقافي العربي، 1997م، ج1 ،ص107 .

[39] – **المرجع نفسه**،ص106 .

.

5. جدلية العلاقة بين الذاكرة الجماعية وكتابة التاريخ.

عندما نتكلم عن الماضي والذاكرة والتاريخ نقول أن الحياة كلها محمولة على ظهر الزمان جارية بجريا نه ونحتاج إلى تأملها وتفحصها بعد ردح من التراكم لنفصل أحداثها عن الزمان ونمسك بها في نصوص.

والذاكرة الجماعية هي كيفية علاقتنا بالماضي فهي تقدم حضورا للماضي أحيانا أقوى مما تبينه كتب التاريخ وسواء كانت الذاكرة الفردية واعية أو لاإرادية فإنها يمكن اعتبارها استحضارا وبناءا جديدا للماضي وإن يكن غير مكتمل دوما.

كما أن الأطر التي تذكي محتوى الذاكرة لا تكفي بمجرد تكييف ذكرياتنا (مانحتفظ به عن الماضي) لكن تمتد أيضا إلى أشكالها مما يكشف عن مبلغ تأثير الحاضر على الماضي كون الإطار الذي شكل وعاءا لحدث الماضي يختلف دوما عن الإطار الذي تم فيه استحضاره وهذا تنجر عنه نتيجة مفادها أن الذاكرة تندرج ضمن فوارق تصورية لأنها تحديد إعادة الماضي في الحاضر[40].

وقد فرق بيير نورا كما سبق وان ذكرنا بين الذاكرة الجماعية التي تعتبر عما تبقى من الماضي وتمتاز با لضبابية والتداخل لأنها تراهن على حاجيات اللحظة وإعادة المخيل وبين الذاكرة التاريخية التي هي ثمرة تجربة معرفية للكشف عن الحقيقة ما أمكن.

أما التاريخ من حيث هدفه فهو محاولة معرفة كل شيء فعله الإنسان أو فكر فيه أو تطلع إليه أما م ن الناحية الموضوعية يمكن اعتباره سجلا للأحداث التي وقعت داخل إطار الوعي الإنساني منذ بداية وجو د الإنسان ذاته وهنا يصبح التاريخ دالا على صناعة التاريخ أي محاولة الإنسان لوصف ماضيه وتفسيره وه ذا ما يتحدد عندما نتناول التاريخ كضرورة اجتماعية[41].

ويمكن استعراض أهم مميزات موضوع التاريخ كما يلي:

- **البحث عن الحقيقة:** حيث يعنى التاريخ بالروايات المطابقة للحقيقة لا مجرد الروايات ويتخذ أنماطا وأساليب متباينة للوصول إليها.

---

[40] – جيم هاوس،ونيل ماك ماستر، **باريس1961 ، إرهاب الدولة والذاكرة**، ص277 .

[41] – قاسم عبده قاسم،**تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية**، ص 30-31 .

.

- **الإهتمام بالحدث:** حيث يهتم التاريخ بالأحداث المهمة ويقوم بانتقائها وتبسيطها وتنظيمها على شكل قصص وتعرف بصفة كاملة أو غير كاملة أي بواسطة شهود عيان أو عن طريق الوثائق التي تعتمد حكاية عن الحدث لا محاكاة له.
- **التفرد:** بحيث ينفرد الحدث التاريخي بتكونه في لحظات مميزة ولا يعيد نفسه بنفس الشكل والمضمون.
- **التمايز:** فمن السمات التي تخص الحدث التمايز والمغايرة من فترة لأخرى ومن مكان لآخر[42].

وتبقى غايات الموضوع التاريخي هي الوصول إلى اكتشاف الحقيقة التاريخية التي تبقى نسبية وهذا راجع إلى تفرد الحادثة التاريخية التي جرت في زمن معين وعبرت عن تصرف أناس معينين مما يتعذر تعميمها من جهة أخرى أن نقل الأحداث والمعلومات غالبا ما يكون غير آمن ومشوه مما يجعل معارفنا غير مضبوطة وغير كاملة وهذه الصعوبة في عمل المؤرخ عبر عنها Paul Harssin في كتابه Comment on écrit l'histoire:" الحقيقة التاريخية هي بعض المنافذ وهي حقيقة دينامية تنجز بتطور دون انتظار درجة التأكد المطلق الذي لا يكون من جوهرها " [43].

ونحدد العلاقة بين الذاكرة والتاريخ من حيث تجليات الذاكرة ووظيفتها ومميزاتها والقصدية التاريخية وواجب التاريخ، فوظيفة الذاكرة من خلال تجلياتها (القصص،الملاحم البطولية، الأشعار،منظومات القيم والرموز، الأماكن والمعالم الأثرية،طقوس الانتصار...). هي تنمية الشعور لدى المواطنين بالانتماء إلى جماعة سياسية أو عرقية تؤمن بالحق الواجب. وتعتبر الذاتية أهم مميزات الذاكرة لأنها تنحصر في الواقع المعيشي اليومي ويجوز بالتالي تملكها فنستخدم عبارة الذاكرة ذاكرتي الذاكرة التاريخية ذاكرتنا بينما لا يجوز القول التاريخ تاريخنا.

---

[42] – محمد العربي الصديقي، **التعريف التاريخي في منهج المؤرخ، إضاءة إبستمولوجية ومساهمة في دياكتيكية التاريخ**، د.ط، م طابع

الرباط، المغرب، 2013 ص 23-24 .

[43] – المرجع نفسه،ص27 .

.

فالتاريخ عام وإن اختلفت فتراته وان نسب لجماعة ما ذات خصوصية ثقافية أو إثنية متجانسة فالمفيد نعته بالذاكرة التاريخية [44].

ثم إن الذاكرة تعتمد السرد وتشتمل على عقد كثيرة (الاهانة، الانتصار، التفوق...)،كما تعتمد المخيال لذلك طالما يعبر عنها في نصوص أدبية أو رسوم فنية أو لوحات معبرة.

والخلاصة أن الذاكرة الجماعية مادامت الحقيقة فيها وظيفية لا علمية فكثيرا ما تتم التضحية بها لصالح إبراز بطولات أو تمجيد الدولة الوطنية وهذا ما نسميه إقصاء الذاكرة.

أما البحث التاريخي فيتمّ تعريفه قبل كل شيء بمصطلحات المسافة الزمنية تكوّن هذه الأخيرة الشروط التي تسمح بان يتخذ من الماضي (تمثيل الماضي في الذاكرة)– موضوع دراسة–.

حيث أن التاريخ مقتطع من الماضي بينما تتشكل الذاكرة من الماضي في الحاضر وينطبق ما يفترض كونه موضوعية في البحث التاريخي مع المتعارض مع الذاتية المرتبطة بالذاكرة. فيرى هالبواش أن التاريخ يأتي كشيء آخر عند زوال الذاكرة الجماعية [45]، فالتاريخ لا يشكل ولا يمكن أن يشكل جزءا من التجربة المعاشة .

وعندما نعرض للعلاقة بين التاريخ والذاكرة على مستوى المنهج فإن بول ريكور يتحدث عن الذاكرة المؤرشفة، فحين نمر من الشكل إلى المضمون، من المكان – الزمان التاريخي – إلى الأشياء المسماة في الماضي، نتبع الحركة التي بفضلها تصبح الذاكرة الإخبارية خارجية في الشهادة، إننا سنعطي إلى التزام الشاهد في شهادته، ثم نتوقف فترة أمام لحظة تسجيل الشهادة التي يتلقاها الآخر هذه اللحظة هي حين تتقلب الأشياء المقولة من حقل الشفاهة إلى حقل الكتابة التي لا يعود التاريخ يتركها وهي كذلك لحظة ولادة الأرشيف المجمع والمحفوظ والمستشار[46].

إن الشهادة حين تعبر باب الأرشيف تدخل المنطقة النقدية حيث لا تخضع فقط لمواجهة قاسية بين الشهادات المتنافسة، ولكن تمتصها كتلة من الوثائق ليست كلها شهادات. وهذه الخطوات تشير إلى الأساس الصحيح للثقة التي نضعها في قدرة كتابة التاريخ على توسيع وتصحيح ونقد الذاكرة، كي تعوض بهذه الطريقة

---

[44] – **إملشيل الذاكرة الجماعية**، إعدادآسيا أوجبور، لحسن آيت الفقيه، منشورات جمعية أخيام،ص7 .

[45] – موريس هالبواش، **المصدر السابق**، ص 98.

[46] – بول ريكور، **الذاكرة،التاريخ،النسيان**، ط1، ترجمة وتعليق جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد،بيروت، 2009 ،ص224 .

نقاط ضعفها على الصعيد المعرفي (إسكات نافيي الجرائم الكبرى الذي يجب أن يجدوا هزيمتهم في الأرشيف)[47].

من جهة أخرى فإن الأطر التي تذكي محتوى الذاكرة لا تكفي بمجرد تكييف ذكرياتنا (ما نحتفظ به عن الماضي) ، وفي هذا المعنى يقول دانييل شاشتر Daniel Schachter:"أنه من المستحيل عمليا افتراض أن الذكريات مسجلة دونما تغيير". وبالتالي فإن الذكريات ليست أبدا نسخا مطابقة للحقيقة الخارجية حيث أظهرت الدراسات النفسية أن لا يتم تلقي المعلومات الحسية الواردة بصورة سلبية، وبهذا المعنى تكون جميع الذكريات مختلقة وليست "متلقّاة" كما هي ببساطة[48].

إن استمرار ذكريات الماضي في الحاضر وامتدادها في المستقبل يجعل الذاكرة قابلة للتغيير (تغيير الخيارات السياسية، تغيير الرموز الثقافية تحت وقع التحولات الاجتماعية...)، كما يفترض في الذاكرة النسيان فالنسيان ضروري أحيانا لتجاوز بعض العقد [49]. وحتى لو سلمنا بأن السرد يفسر ذاته، فإن التاريخ ينتزع العملية التفسيرية من نسيج السرد ويقيمها كإشكالية مستقلة، وليس الأمر أن السرد يتجاهل الأشكال " لماذا " و " لأن " لكن ارتباطاته تبقى أكثر للمتخيل والحبك [50].

إن الفرق بين التاريخ و الذاكرة يزداد خطورة في المرحلة التفسيرية للأحداث ، فالمعيار الرئيس للتاريخ يكون وثيق الصلة بعمل التفسير دون التبرير، وفي هذا الصدد يقول عبد الحميد هنيّة:" ليس من مهمة المؤرخ تصحيح الذاكرة بل مسائلتها واعتماد منهج التحقق و الوعي لإعادة وتحديد وكتابة الكثير من الوقائع التاريخية المشوبة بالذاكرة " [51]. إن الإدراك والفهم الصحيح لمجرى الوقائع كما حدثت في الزمان والمكان دون زيغ أو ضلال، لا كما نتوهم أو نتخيل أو نتصور أنها جرت على وجه التقريب .

---

[47] – بول ريكور، **المرجع السابق**، ص 224.

[48] – إدوارد كار، **المرجع السابق**،ص 258.

[49] – إملشيل، **الذاكرة الجماعية**، ص7 .

[50] –بول ريكور،**الزمان والسرد، الحبكة والسرد التاريخي**، ط1، راجعه عن الفرنسية جورج زيناتي، ترجمة سعيد الغانمي وفلاح رح بم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2006، ج1 ،ص275 .

[51] – عبد الحميد هنية " **محاضرة في الذاكرة والتاريخ والعلاقة بينهما ،نظرة مختلفة إلى الحاضر والماضي في آن واحد"**، الدوحة، ديسمبر2016 ،ص3.

.

وبالتالي فإن إمكانية تزوير الحقائق التاريخية أو إعادة كتابة وقائع التاريخ حسب ما يرتضيه فريق دون آخر يبدو أمرا هينا، لكن بالنسبة للباحثين المختصين فالأمر يعتبر في غاية الخطورة لأنه يتعلق بمصداقية التاريخ كعلم، وموضوعية الكتابة التاريخية [52]، يقول بول ريكور إن أهم شيء لا بد وأن يتوفر في المؤرخ أن لا يسقط في النظرة الذّرائعية لرؤية الحقائق ويدافع على أن المعيار للتفسير الصحيح للحدث التاريخي هو ملاءمته لهدف ما يقوم في الحاضر[53].

وبالتالي فطبيعة عمل المؤرخ تتجسد في إثبات الأحداث ثم تفسيرها لكن ليس له حق إصدار الأحكام أو تبريرها، فالمؤرخ عندما يجد نفسه في مرحلة إعداد الذاكرة الجماعية في تنافس مع الجماعات الحاملة للذكريات المتناقضة، والتي تلتمس اتخاذ مواقف لصالحها، فواجب عليه أن يؤدي دور الخبير والحكيم الضامن لموضوعية الأحداث وإنصاف الحجج [54].

إذا فالمؤرخ الذي يكون مشغولا لإثبات صحة عباراته مع شرح للعلاقات التي يؤسسها بين الأحداث، وامتلاكه للموضوعية هو قادر أن يطرح حدود الموضوعية بوصفها مشكلة، بينما هذا السؤال لا تعرفه براءة الراوي الذي يتوقع بدلا من ذلك إذا استخدمنا عبارة "كولردج " التعليق الطوعي لعدم التصديق [55].

نستنتج أخيرا أن التناول المفهومي للتاريخ والبحث عن الموضوعية وإعادة الفحص النقدي كلها خطوات أساسية نحو جعل التفسير مستقل عن "الطبيعة المفسّرة لذاتها"، للذاكرة الجماعية أو للسرد [56].لكن وبرغم هذه القطيعة، فإن التاريخ لا يقطع كل علاقة مع الذاكرة، وهذا من خلال تقاربهما على مستوى الموضوع الذي هو "الماضي "، لكن دون أن يلتقيا قط لفرق الموضوع والمنهج.

6.خاتمة

إن أهم النّتائج المستخلصة من البحث :

---

[52] – رشيد باقة " **الموضوعية في الكتابات التاريخية حول الجزائر** " ،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع2 ،مارس2003،ص50.

[53] – إدوارد كار،**المرجع السابق**، ص29 .

[54] –عبد الوهاب الشلالي، **ذكرى 17 أكتوبر،بين العدالة والتاريخ**، ص70.

[55] – بول ريكور،**الزمان والسرد الحبكة والسرد التاريخي**، ص 277 .

[56] – **المرجع نفسه**، ص 278.

.

- الذاكرة هي استعادة الماضي في الحاضر ومحاولة إعطاءه تفسير ومعنى، بينما التاريخ هو محاولة فهم الماضي وتفسيره.
- الذاكرة الجماعية الحقيقة فيها وظيفيّة لا علمية، بينما التاريخ يروم الحقيقة وهي غاية في ذاتها، ووظيفته عملية تعليمية تتميز بالتجرد عندما يتعلق الأمر بإرجاع المنسي.
- تعتمد الذاكرة الذاتية التي تجانب الذّاكرة السليمة، بينما يعتمد التاريخ الموضوعية والصدق والمصداقية.
- يتميّز المؤرخ عن حامل الذاكرة في تطلبه النقدي الكبير الذي يبعده عن التبريرات وعدم تأكيد أي حادثة دون القدرة على الاستدلال عليها.
- ليس من مهمة المؤرخ تصحيح الذاكرة بل مساءلتها، وبالتالي ليس له حقّ إصدار أحكام الإدانة أو البراءة و بالتالي الابتعاد عن طابع التمجيد.